المعتقدات الدينية الفينيقية

أحمد الريفي الشريف*

الملخص

لقد كان للدين مكانة كبيرة وعظيمة عند الشعوب الفينيقية شأنها شأن سائر الشعوب القديمة ويبدو ذلك واضحا من خلال المخلفات الأثرية والحضارية المتمثلة في المقابر والمعابد والنقائش وغيرها .

وتمثلت المعتقدات الدينية عند الفينيقيين في ظهور عدد من الآلهة ومنها بعل حمون وتانيت وعشتارت وأشمون وملقارت وغيرها. بحيث تعبد وتضرع الإنسان الفينيقي لتلك الآلهة وقدم لها القرابين والأضاحي البشرية خشية ورهبة منها وكانت تلك الأضاحي تقدم في أوقات الخطر الشديد المحدق بهم والكوارث الطبيعية والقحط والجدب وإنتشار الأوبئة الفتاكة وأقتصرت هذه العادة على أبناء الطبقة الأرستقراطية والطبقة العامة دون سواها .

سنتطرق في هذا البحث إلى الديانة الفينيقية منها الآلهة والمعبودات الفينيقية وأساطيرها وظاهرة التقادم والأضحية البشرية وإيمان الفينيقيين بفكرة الحياة بعد الموت. وبالإضافة إلى مصادر الديانة الفينيقية منها المصادر الأثرية والمصادر النقائشية.

الآلهة والمعبودات الفينيقية

لقد تعددت وتنوعت الآلهة عند الفينيقيين كسائر الشعوب القديمة حيث ظهرت الآلهة الفينيقية التي تأثرت بالطبيعة وظواهرها المختلفة منها إله للسماء وإله للبرق وإله للرعد وإله للمطر وغيرها .

1- الإله إيل :

وكان إيل على رأس الآلهة الفينيقية وهو أسم سامي بشكل عام إله وأستعمل من قبل الشعوب السامية كعلم لكبير الآلهة. (1) ويتربع إيل قمة مجمع الآلهة الكنعانية في الأساطير الأوغاريتية فهو الذي أنجب الآلهة من زوجته أثيرة التي تعتبر كلها من عائلته بإستثناء الإله بعل ويلقب بأبي البشر وبالمنجب خالق الخلق والذي منح الذرية للملك كرت ودانيل الحكيم وأنه يملك القدرة على الخصب وإصابة الناس بالعقم.

وهناك صدى لقصة نشوء الكون في قصيدة شحر وشامل ويحمل إيل لقب (قونيرشا) في الأسطورة الحثية (إيل قونيرشا) ويعتقد أن هذا اللقب محرف عن الأصل الكنعاني (قونة أرص) أي خالق الأرض. (2)

ويرد وصف الإله إيل في سفر التكوين 14 ، 18 ، 19 ، 22 على الشكل التالي :

إيل عليون قونة شمايم وأرص وترجمته إيل عليون خالق السماوات والأرض ويعتقد أن كلمة قونة لا تعني خلق وإنما ساد وأستعبد . (3)

ويعتقد أن الإله إيل يسكن عند منابع النهرين وسط تيارات جوف المحيطين ويسمى في اللغة الأوغاريتية (ج – ر – ش - ن). وتعددت أراء الباحثين حول مكان الإقامة الفعلية للإله بعل في تصور الأوغاريتيين وكان المكان المناسب في زعم الكثير هو عند نبع أفقا في لبنان الذي يشكل نهر أرونيس عند بحيرة يمونه الواقعة في الطرف الأخر من الجبل وهي بحيرة موسمية تجف مياهها في فصل الصيف وقد شهد هذا المكان قصة الحرب المعروفة بين أدونيس وأفروديت. ويبدو أن إرث الإله إيل في حكم الكون تقاسمته ثلاثة آلهة هي (بعل) وكان نصيبه حكم السماء والأرض و (موت) عالم الأموات تحت الأرض و (يم) عالم البحار والمحيطات.(4)

أما الرمز الديني للإله إيل فيتمثل في الخوذة المتمرنة التي تشبه بنات الذرة رمزا أساسيا للإله إيل وتتكون من كوزين يشبهان أكواز الذرة وأيضا قرص الشمس المجنح رمزا أخر من رموز الإله إيل حيث يظهر دائما أعلى نقش صورته ومن رموز إيل الأخرى القوس الحاد والسهام الملتهبة . (5)

2- بعل حمون :

يعد بعل حمون الإله الأعلى في العالم الفينيقي وأما في فينيقيا فهو بعل وأن معنى اللقب حمون لبعل القرطاجي فهي الناري ويعبر عنه بشكل الشمس وقد شبه في العصور الرومانية بالمعبود ساترن (saturnus). (6)

---

*قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة سبها.

ويعني أسم بعل في كل اللغات السامية المالك والسيد والزوج والصيغة المؤنثة منه بعلة ويرتبط أسم الإله بأسماء المدن والبلاد والمواقع مثل بعل حازور وبعل فعور وبعل لبنان وبعل حران وبعلة جبل وغيرها ، ويعتقد أن التسميات السالفة الذكر تشير إلى أماكن عبادته المحلية. (7)

وإن عبادة الإله بعل حمون تعد من أهم العبادات وأكثرها إنتشارا في غرب العالم الفينيقي ، وقد ظهر أسم هذا الإله في الشرق حيث ورد في نقوش سمأل في شمال سوريا حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ووفقا لما جاء في أغلب المصادر التاريخية فأن أسمه يعني إله المذبح المعطر وبينما يرى البعض الأخر أن كلمة بعل حمون تعني سيد الألواح النقشية.(8)

وتدور معظم حوادث الأساطير الأوغاريتية حول بعل وأنه الإله الرئيس في سورية ويعود السبب في ذلك إلى كونه إله الطقس والعاصمة في دولة تعتمد على مياه الأمطار في ري أراضيها .

ويوصف بعل في النصوص القديمة على أنه ابن الإله دجن ويبدو أن نصوص أوغاريت تذكر أن جبل صفن هو مقر الإله بعل وقد بنى له الإله كوثار قصرا فوقه ومن علياء سكناه كان يدير شؤون العالم وهناك وارته الثرى أخته عناة عندما تمكن منه الإله موت وأرداه قتيلا. (9)

وكان للإله بعل قصرا يقيم فيه بعد إنتصاره على يم يرسل عناة إلى الإله إيل لأخذ الموافقة على بناء قصر جميل له إلا أن أسلوب عناة في الحديث كان فجا فيخيب مسعاها فيلجأ الإثنان إلى الإلهة أثيرة التي تنجح بإقناع أبي الآلهة بأسلوب رقيق ناعم لا يخلو من بعض المجاملة في الموافقة على بناء القصر. وبعد حصوله على الموافقة يلح على إله الحرف والفنون كوثار أرضا صالحة للبناء لتشييد القصر عليها بشرط ألا يكون للقصر أية نوافذ والسبب الرئيس في ذلك يكمن من خشية أخوات بعل عليه وخوفهن من انتقام الإله المقتول يم.(10)

أما مواد بناء القصر فتجلب من لبنان وتتألف من أشجار الأرز والفضة والذهب والمعادن الثمينة وبعد الإنتهاء من بناء القصر توقد النار فيه لمدة سبعة أيام دون أن يخبو وميضها وبعد إنطفاء النار تطلى جدران القصر بالذهب. ويبدو أن القصر السماوي الأسطوري والذي بناه كوثار للإله بعل حقيقة لا جدال فيها وذلك بناءا على الحفريات الأثرية من قبل العالم الأثري كلود شيفر ثم الكشف من خلالها عن معبد للإله بعل في أوغاريت.(11)

أما الرمز الديني للإله بعل فيتمثل في الرمح المورق الذي إعتاد بعل على الإمساك به في يده اليسرى بينما كان يمسك هراوة في يده اليمنى ويرجح أن الرمح المورق رمز أصيل من رموز بعل فهو يوحي بالخصب والقوة بالحب والحرب معا . (12)

3- تانيت

لقد برزت الإلهة تانيت في القرن الخامس قبل الميلاد كمعبودة شعبية وقد أختلف المؤرخون في أصلها وأن عدم الإشارة إليها في نصوص رأس الشمرا وصور وغيرها يؤكد أنها غير فينيقية وأن أسمها الليبي فضلا عن عبادة البربر لها إنما يدل على أنها بربرية الأصل.(13)

وقد تحدث أبو ليوس عن الإلهة تانيت واصفا إياها بأنها أعظم الآلهة وأم لكل حي وآلهة الخصب والنماء وإله قمري في آن واحد وأنها ملكة جميع الناس وهي الآلهة الوحيدة التي عبدها العالم تحت أسماء وأشكال وطقوس مختلفة وكثيرا ما تتم معادلتها بالإلهة السامية عشترت (Astart) وهي المقدمة على جميع الآلهة السماوية. وقد إعتبرها الإغريق معادلة للإلهة أرتميس والرومان معادلة للإلهة ديانا (Diana) أوجونو كيلستس (Juno Caelestis) أو فينوس (Venus). (14)

وأنشأت لها المعابد في الشمال الأفريقي مثل معبدها في قرطاج وأخر في سوسة بتونس وفي ويات (طرابلس) يوجد معبد كرس لهذه الآلهة .

وعثر على العديد من الرموز والرسومات التي تخص هذه الآلهة ، فمثلا في لبدة الكبرى ثم العثور على جرار فخارية (أمفورات) تحمل رموز الإلهة تانيت وجرى إكتشافها تحت المسرح الروماني تعود إلى القرن الأول ق.م. (15)

ويظهر أن الإلهة تانيت قد مثلث في أشكال أنثوية تحمل أسلحة مع إرتفاعها ذراعيها تمثيلا بسيطا على مئات من الأنصاب (Stelae) في قرطاجة وغيرها.(16)

ويبدو أن رمز اليد اليمنى المفتوحة والمرفوعة إلى الأعلى كان له علاقة بهذه الآلهة والمقصود منها هو جلب الخير والحماية وهي تمثل شكلا من أشكال التمائم لا زالت توجد في البلاد العربية وخاصة ليبيا حيت ترسم عند مداخل البيوت والغرف لجلب البركة والخير وللحماية من عين الحسود وكذلك الهلال المقلوب الذي يظهر في الجزء المقعر منه دائرة أو نقطة. وكما يظهر على نصبها أيضا صولجان ملتف حوله حيتان وفي أعلاه جناحان والشكل يرمز إلى جسد امرأة وكذلك الهلال المقلوب إلى الأسفل ومعه قرص الشمس.(17)

4- عشتارت

عشتارت أو عشتار وجمعها عشتاروت وهي الصفة المؤنثة من البعل أي بعلة أو السيدة وقد أطلق العبرانيون عليها حسبما جاء في سفر الملوك (عشتورت).(18)

إن أسم عشتارت بالحروف الأوغاريتية الساكنة (ع.ث.ت.ر.ت) هو الصيغة المؤنثة من (عشتار) بعد إضافة تاء التأنيث والاسم الرافدي عشتار هو الصيغة المؤنثة للإلهة. واستخدم كتاب العهد القديم الحروف الصوتية من كلمة (بوشت) التي تعني العار وشكلوا بها الحروف الساكنة في أسم عشتار فأصبح الاسم يلفظ عشتورت ويجمع بعشتروت . [19]

ويحتمل أن الإلهة عشتارت كانت تعبد في لبدة الكبرى والتي طابقها الرومان بفينوس حيث عثر على عدد من النقوش الإهدائية تعود إلى الإلهة عشتارت وكانت عبادة عشتارت في العادة مع رفيقها أدونيس الذي هو أشمون إله الحياة النباتية.

وتعد مدينة صور أحد مراكز عبادتها ومن أهم رموز عشتارت التي عرفت بها في الشرق الفينيقي العري حيث تظهر في صورة عادية كما أن الحصان من أهم رموزها وقد يشير إلى أصولها الأسيوية [20]

وتظهر أيضا برموز مصرية مثل التاج المصري المضاف إليه قرنين جانبيين في أسفله وعلامة الحياة المصرية (عنخ) . [21]

وتتجمل عشتارت مثل عناة بصفتين أساسيتين الأولى آلهة الخير والخصب والبركة والثانية آلهة التدمير في المعارك والنزال وتندمج الإلهتان في عصر لاحق تحت أسم واحد هو (اتارجيتس) .

وعرفت عشتارت بشخصيتها الحربية في أسفار العهد القديم حيث يقوم القلستيون بتعليق أسلحة شاؤول وأبنائه التي غنموها في الحرب في معبد الإلهة الموجود في بيت شان (بيسان) في فلسطين . [22]

وتلقب أيضا (بسيدة المشاعل) حيث عبرت بهذا اللقب في أفقا قرب بحيرة يمولة في لبنان وقد هربت هذه الإلهة بعد أن لاحقها الثعبان تيفون .

أما اللقب الأخير لها فهو (ضجيعة أيل) حيث ضاجع إيل إلهتين على شكل مشاعل وهما (عشتارة) و(عناة) وأنه بعد مضاجعته لعشتارة ولدت له سبع بنات (تيتانيدس أو أرتميدس) وصبين هما (جاثوس) و(إروس). [23]

5- أشمون

لقد كان الإله أشمون في الأصل بعل مدينة صيدا وسيدها وقد قرنه اليونانيين بالإله (أسكليبيوس) إله الطب والشفاء هذا فضلا عن خصائص الخصوبة التي عرفت عنه . [24]

وقد ورد أسم الإله أشمون في الروايات الأسطورية وتقول الأسطورة :

((ان أشمون الشاب الفتي كان في رحلة صيد فوقعت الإلهة الأم (أسترونه) إحدى ظواهر الإلهة عشتارت في حبه وبدأت تلاحقه بلهف دون هوادة مما أضطره إلى خصي نفسه فيموت على اثر ذلك ولكن الإلهة تتمكن من إعادته إلى الحياة بحرارة الدفء الإلهي وتجعل منه إلها ومن هنا جاءت تسميته أشمون وتعني النار . [25]

وعبد هذا الإله في قرطاج وبني له فيها معبد يقع على قمة بيرسا . [26]

وتشير الأثار إلى أن بيروت كانت المكان الأول لعبادة الإله أشمون ثم انتقل إلى صيدا ومنها إلى قبرص وسردينيا وأفريقيا وقرطاج وكان أسمه في صور (ياسومون) وهو إله الطب والشفاء ويشير لهذا مقطع ياسوا أو آسو في أسمه والذي يشير إلى الطب وهو ذات المقطع الذي في أسكليبيوس إله الطب اليوناني ، حيث كان إله الطب السومري أسمه (ننازو) أو (نناسو) أي سيد الأطباء . [27]

6- شدرافا

لقد كان الإله شدرافا عند الفينيقيين إله الخصب والعالم السفلي ويدل اسمه على أنه إله الطب والشفاء وقد ظهر من تدمر مصحوبا بالثعابين وطابقه الرومان بالإله باخوس إله الخمر والمرح والمتعة[28] .

ويبدو أن أسم الإله شدرافا يتألف من شد ورفا الذي يعني شد الشافي وقد وصلت عبادته إلى مصر خلال حكم الأسرة الثامنة عشرة ويشبه باوزيريس المنقذ ويعني أسمه في اللغة العبرية (عفريت) ويأتي دائما في صيغة الجمع ويكتب في اللغة الأكادية (شدو) ويركب من أسمه في اللغة الفينيقية أسم (ج-ر-ش-د) الذي يعني خفير الحماية المرسل من الإله شد. [29]

وبرجع أن أسطورة شدرافا لا تختلف في جوهرها عن أسطورة أدونيس أو أشمون ويظهر الإله شدرافا (شدوفا) في نقوش أنصاب عمريت على الساحل السوري بهيئة قريبة من الإله بعل ولكنه يحمل في أحد النصبيين بيده اليمنى سلاحا غير واضح المعالم أما في النصب الأخر فيحمل ما يشبه الفأس على شكل مراة مثلومة. في حين حمل بيده اليسرى في النصب الأول حيوانا صغيرا ربما كان جديا أو أرنبا أو شبل أسد ويعتمد الإله في النصبين بغطاء رأس مخروطي له ذيل ويقف على أسد يظهر في أحدهما واقفا على تلول العالم الأسفل الرمزية وكذلك تظهر الشمس والقمر وفوقهما جناح الأفق أعلى رأس شدرافا في أحد النصبين . [30]

7- ملقارت

لقد كان الإله ملقارت (ملكرث) معبود صور وكلمة ملقارت تتكون من كلمتين فينيقيتين هما (ملك) و(قارت) بمعنى مدينة أي ملك المدينة أو إله المدينة وقد لقب بلقب (بعل صور) وانتشرت عبادته إلى قبرص ومصر وقرطاج وغيرها ، وكان ملقات في الأصل معبودا شمسيا. [31]

وقد ظهر أسم الإله ملقارت في نص العقد الذي وقعه الملك الأشوري لسر حدون مع بعل ملك صور وجعل منه اليونانيين والرومان إلها شاجا مساويا للإله هرقل وانتشرت عبادته في كلا من صور وقبرص وصقلية وسردينيا وقرطاجة وغيرها . [32]

التقادم والأضحية البشرية

يعتقد أن ظهور ما يسمى بظاهرة الأضحية البشرية عند الفينيقيين وذلك إيمانا منهم بأن هذه العادة الذميمة ستخفف عنهم غضب وسخط الآلهة فوجب بالتالي أن تقدم له الهدايا والقرابين فيشملهم بعطفه ورضاه, وتختلف التقادم بين المعادن النفسية والمواد الزراعية والغذائية والحيوانية يضحي بها على المذابح، أما تقادم السوائل من حليب وزيت وخمر فيخصون بها البعلات.[33]

وقد مارس الفينيقيين عبادتهم كغيرهم من الشعوب القديمة وذلك بتأدية الصلاة وترديد التراتيل الخاصة بالمعابد وتمجيد الآلهة وتقديم الأضاحي وغيرها .

ويظهر أن تقديم الأضاحي يستلزم وجود عدد منهم يتكون حسبما تذكر النقوش من رجال ونساء يرتدون ثيابا بيضاء من الكتان والقطن وقبعات تشبه التاج . [34]

وفي إحدى المناسبات الدينية على حد قول لوشيان بلغ عدد الكهنة ما يزيد على الثلاثمائة كاهن وكان البعض منهم يقوم بذبح الأضاحي واخرون يسكبون الماء المقدس والمجموعة الثالثة تحمل مواقد فحم خاصة بحرق البخور. وتشير نقوش أوغاريت إلى الأضحية البشرية وتقديم الابن كقربان للإله بعل أو إل في أوقات الحرب، والتوفيت (Tophet) هو أبرز مؤسسة دينية في المستوطنات الفينيقية في حوض البحر المتوسط. [35]

وقد ورد ذكر التوفيت في التوراة قرب بيت المقدس وهو المكان الذي كانت تقدم فيه الأضاحي البشرية من الأطفال التي تسمى ملك أدم (malk dm) أي الأضحية البشرية كقربان للالهة , واشتق هذا الاسم من اسم مكان في وادي حينوم (Hinnom) قرب بيت المقدس في فلسطين حيث كان الأطفال يقدمون على شرف الإله بعل . [36]

ويبدو أن التوراة مصدرا أدبيا فيما يخص معرفتنا عن ظاهرة تقديم القرابين البشرية ويمكن في هذا السياق الإستدلال بما ورد في سفر التكوين الثانيXXIII, 10: ((ونجس (الحديث يوسيا Josias) توفة التي في وادي بني خنوم لكي لا يعبر أحد ابنه أو ابنته في النار لمولك)) سفر الملوك الثاني XVI -2-3 ((كان اجاز ابن عشرين سنة حين ملك وملك سنة ستة عشر سنة في أورشليم ولم عمل المستقيم في عيني الرب إلهه كداود ابيه بل سار في طريق ملوك اسرائيل حتى انه عبر في النار حسب أرجاس الامم الذين طردهم الرب من امام بني اسرائيل , وتدفعنا هذه الإشارات للقول بأن تقديم القرابين البشرية وخاصة من الأطفال كانت ممارسة عرضية .[37]

ومن عادة الفينيقيين تقديم الأضاحي البشرية في أوقات الخطر الشديد والكوارث وانتشار الأوبئة الفتاكة حيت كان الأمراء يضحون بأطفالهم بقتلهم في احتفالات غريبة على شرف الإله بعل حمون الذي يطلق عليه الفينيقيون الإله إل (EL) ويعني أعظم الألهة وتذكر الاسطورة بأن هذا الإله كان قد ضحى بأبنه جيود (Ieoud) عندما أحاق ببلاده بيبلوس (Byblus) خطر شديد حيت البسه ملابس ملك وجهز مذبحا وقدمه كأضحية وبذلك فتح هذا الإله الباب على مصرعيه أمام هذه الطقوس الدينية المروعة .[38]

وفي توفيت صبر انه جرت عملية استبدال الأضحية البشرية بالحيوانية بدلا منها ويتضح ذلك من خلال عظام الحيوانات الصغيرة مثل الماعز والضأن والغزال المتكلسة في الأواني الفخارية ويرجع تاريخ مخلفات هذا التوفيت إلى أوائل القرن الثالث ق.م. , وكذلك الأمر في توفيت سوسة بتونس. وقد ورد في النقوش أسماء لبعض الحيوانات التي كانت تقدم كقرابين للالهة مثل الثيران والخراف والكباش والأغنام والطيور أما الخنزير لا يصلح كأضحية لانه غير نظيف .[39]

في الغالب كانت تضحية الأبوين بالابن الأول هي العادة المتبعة لان الأبناء هم أغلى ما يملكه الأبوان وتمثل فيها الطهارة والبراءة والتضحية بهم تعمل على تهدئة غضب وسخط الالهة. وان تقديم القرابين عن طيب خاطر كانت ضرورة لتحقيق الغرض المنشود وهو يستلزم التضحية بالمولود الأول للعائلة حتى ولو كان الطفل الوحيد وكان يتحتم على الوالدين الامتناع عن البكاء ومنع أطفالهم من الصراخ بمداعبتهم وتقبيلهم وذلك لان البكاء وإظهار الألم يضيع قيمة الأضحية حسبما يذكر بلوتارخوس .[40]

وكان التوجع أو التنهيد يغطي عليه بطنين الطبل وأصوات الآلات الموسيقية ويبدو أنهم كانوا أقنعة ضاحكة على وجه الضحية. ويبدو أن عدد الأضاحي يزداد كلما ازداد الخطر ويذكر ديودوروس الصقلي أنه في أثناء حصار أجاثوكليس طاغية سيراكو زا لقرطاج اعتقد أن ماحل بهم بسبب أغضابهم للالهة لاستبدالهم أضاحي من أطفال أحسن العائلات بالأضاحي الحيوانية ومن تم قرروا التكفير عن خطيئتهم بتقديم عدد مأتي طفل من أحسن العائلات .[41]

إيمان الفينيقيين بفكرة الحياة بعد الموت

إن تصور الفينيقيين للحياة الاخرة وحقيقة الحياة بعد الموت وخاصة فيما يتعلق بالعقاب والثواب في المستقبل كان له تاثيرا على الاخلاق واعتناق العقائد الفاسدة مثل عبادة عشتارت المبنية على الدعارة المقدسة والإباحية وما ينجم عن ذلك من ضرر بسبب الممارسات الدينية المنطوية على كثير من عناصر الشهوة الجنسية التي تحط من قدر الإنسان وتنزل به إلى الدرك الأسفل .[42]

وبالرغم من إيمان الفينيقيين بوجود حياة بعد الموت وهو ما يؤكده اصطحاب الميت لأدواته وحاجاته ووضعها معه في القبر فأن فكرتهم

عن الحياة بعد الموت غير واضحة وكانوا يرون في القبور أماكن الراحة الأبدية وهو ما وعت إليه نووايس صيدون من ترك الموتى في أماكن الراحة الأبدية وكانوا يعتقدون أن الجسد يبلى في القبر غير أن الروح تتحول إلى ظل يشبه الجسد ومن تم يمتلئ العالم الأسفل بالظلال المعتمة غير النورانية والتي تمثل أرواح الموتى وأن الروح تستقر في أعماق البحر وتبقى في الظلمات .[43]

أن المقابر الفينيقية تحتوي على بعض الأدوات المنزلية كالأواني الفخارية ومصابيح زيتية ملقاة بجانب عظام الموتى حيت أن الفينيقيين يتركون بجانب موتاهم بعض الأدوات البسيطة لاعتقادهم بأن الميت سيحتاجها عند قيامه في الحياة الاخرة .[44]

وتضم المقابر الفينيقية أيضا الأقنعة والمسوخ الطينية التي تحمل أشكالا شيطانية يرتديها الإنسان أو يضعها في منزله أو مقبرته كنوع من إخافة القوى الشريرة وإبعادها عنه .[45]

ويعتقد أن مثل هذه التقاليد أتت من التراث الزنجي الأفريقي الذي كان يعتني باستعمال هذه الأقنعة والبعض الأخر من تلك الأقنعة يحمل علامة (x) الدالة على العالم السفلي (عالم الأموات) .[46]

مصادر الديانة الفينيقية

أولا/ المصادر الأثرية

المقابر

وفي الغالب فأن المقابر الفينيقية تقع على مقربة من المدن وعلى منحدرات الهضاب وكانوا يفضلون بناء قبورهم في الطبقة الصخرية وتحت سطح الأرض وذلك لإخفائها من أعين نابشي القبور وقد عثر على قبور فينيقية في إقليم طرابلس عام 1969-1979 م في الأراضي القرطاجية التي تقع غرب إقليم المدن الثلاث حبت دلت الإكتشافات الأثرية على وجود اختلاف في تصميم القبور الفينيقية والبونيقية وفي طريقة الوصول إلى غرفة الدفن وكذلك الأشياء التي توضع في القبر مثل الأسرة الجنائزية والتوابيت.[47]

ويبدو أن عادة حرق الجثث عند الفينيقيين جاءت بتأثير يوناني وروماني واقترنت هذه العادة بعادة الدفن الجماعي حيث تدفن أكثر من رفاة شخص في مقبرة واحدة وأن هذا الاختلاف في عمليات الدفن يرجع إلى الاختلاف الاجتماعي للموتى ذلك أن الأغنياء منهم تحرق جثثهم وأما الفقراء فيدفنون.[48]

ويظهر اختلاف أراء العلماء الأثريين فيما يخص بحرق جثث الأطفال ووضعها داخل الجرار الفخارية لذلك يبقى السؤال مطروحا هل أن هؤلاء الأطفال لقوا حتفهم بسبب الحرق أم أنهم كانوا من الأموات قبل تعرضهم للنار.

إن التحاليل المخبرية أدت إلى تغيير التصوير الذي ساد طويلا أو ساط المهتمين بتاريخ ديانة قرطاج ذلك أن المؤرخين اعتقدوا حتى تاريخ إعلان نتائج التحاليل العلمية أن البونيين تخلوا تدريجيا عن عادة تقديم القرابين البشرية واستبدالها بالقرابين الحيوانية .[49]

وقد اكتشف كلود شيفر على آثار راس شمرا أو أغاريت قديما على الساحل السوري تشمل مجموعة من النصوص ترجع إلى القرنين الخامس والرابع عشر قبل الميلاد وهي مكتوبة على الواح من الطمي المحروق بحروف هجائية في كتابته مسمارية وتدور موضوعاتها حول الدين والسحر وعبادة الموتى والخصوبة وهي مصدرنا الرئيس عن الالوهة والالهة الكنعانية التي سادت في المدن الساحلية .[50]

ثانيا /المصادر النقائشية

أن النقوش التي عثر عليها حتى الان يمكن فرزها وتصنيفها على أساس موضوعاتها أو مضمونها فنجد بينها نقوشا تذكارية أو إهداءات (Votives) خاصة بنذر مكرسة لبعض الالهة التي كانت تعبد في الإقليم مثل الإله شدرافا والإله ملك عشترت وهما الإلهان الحارسان لمدينة لبدة الكبرى (ربة اللبقي) حيت عثر على نقش بوني مكرس لهذين الإلهين في معبد الأله ملك عشترت في الميدان القديم في هذه المدينة وصنف ثاني من النقوش البونية جنائزي (Funerary) وهو ما نجده مدونا على شواهد القبور وجدران الأضرحة يظهر فيها اسم الميت واحيانا يذكر لقبه ونسبه مثلما جاء في النقوش البونية التي عثر عليها في مقبرة وادي العمود .[51]

وهناك نقوشا على الأختام مثل النقش الذي عثر عليه في لبدة ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي ونقوش على الأواني الفخارية والمسارح .

وعثر على شقف فخارية تحمل نقوشا تسجل المعاملات المتعلقة بالأمور الزراعية وقد كتب البعض منها باللغة البونية أو البونية المكتوبة بالأحرف اللاتينية وأطلق على هذا النوع الأخير اسم النقوش البونية اللاتينية .[52]

ويبدو أن النصوص النقائشية البونية تحوي عبارات لا تزال إلى يومنا هذا موضع جدل كبير بن المختصين من أشهرها :

ملك ادم :تتضارب الأراء عند تفسير هذه العبارة وقد انحصر الجدل بين رأيين اثنين يرى الأول أنها تعني قربان رجل أي أن الرجل قدم كقربان بينما يرى الثاني أن العبارة تعني أن القربان قدم من قبل رجل .

ملك بعل : انحصر الجدل في ثلاث اتجاهات الأول يرى أنها تعني قربان على شرف بعل فيما يرى الثاني أنها تعني قربان مواطن بما أن بعل تعني مواطن ويرى الثالث أن العبارة تعني قربان عوضا عن رضيع .

ملك امر: وقد اتفق المختصين على أنها تعني قربان خروف ويلاحظ ذلك من خلال نقائش نقاوس (Ngaous) وهي تطابق في الإسلام قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام الذي افتدي بالكبش .[53]

ويستنتج من خلال هذا البحث مدى تاثر الفينيقيين بالطبيعة وظواهرها المختلفة كالبرق والرعد والمطر والفيضانات والزلازل وغيرها مما جعلهم يتخذونها كاالهة يقدمون لها القرابين والأضحية البشرية تقربا إليها وخشية ورهبة منها .

ويلاحظ وجود فكرة الحياة بعد الموت في الديانة الفينيقية أسوة بباقي الأديان القديمة .

الهوامش

(1)- فيصل علي الجربي ,الفينيقيون في ليبيا ,ط1 , الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ,سرت 1995 ,ص32 .
(2)- م.ه.بوب,ف.رولينغ ,قاموس الالهة والأساطير ,ترجمة محمد وحيد خياطة ,ط2 ,دار الشرق العربي ,بيروت 2002 ,ص233 .
(3)- المرجع نفسه ,ص 233 .
(4)-المرجع نفسه ,ص236 .
(5)- خزعل الماجدي ,المعتقدات الكنعانية , ط1 ,دار الشروق للنشر والتوزيع , عمان 2001 , ص76 .
(6)- محمد بيومي مهران ,المغرب القديم , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية 1990, ص210-211.
(7)- م.ه.بوب ,المرجع السابق ,ص238.
(8)- عبدالحفيظ فضيل الميار , الحضارة الفينيقية في ليبيا ,ط1 ,مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية , طرابلس 2001 ,ص206-208.
(9)- م .ه. بوب , المرجع السابق ,ص240.
(10)- المرجع نفسه ,ص246.
(11)- المرجع نفسه ,ص246.
(12)- خزعل الماجدي , المرجع السابق ,ص77.
(13)- محمد مهران , المرجع السابق ,ص212.
(14)- عبد الحفيظ الميار , المرجع السابق , 199.
(15)- المرجع نفسه , ص200.
(16)- ب ,ه. وار منجتون , العصر القرطاجي , تاريخ افريقيا العام , المجلد الثاني , حضارات افريقيا القديمة ,جين افريك ,اليونسكو, باريس 1985, ص465.
(17)- عبدالحفيظ الميار , المرجع السابق ,ص204.
(18)- محمد مهران , المرجع السابق , ص212.
(19)-م.ه. بوب , المرجع السابق , 279.
(20)- عبد الحفيظ الميار , المرحع السابق , ص213.
(21)- المرجع نفسه , ص214.
(22)- م. ه. بوب , المرجع السابق ، ص279.
(23)- خزعل الماجدي , المرجع السابق ,ص99-100.
(24)- محمد مهران , المرجع السابق , ص213.
(25) – م.ه.بوب , المرجع السابق ,ص230.
(26)- مادلين هورس ميادان , تاريخ قرطاج ,ترجمة إبراهيم بالش , ط1, منشورات عويدات , بيروت 1981, ص 65.
(27)-خزعل الماجدي , المرجع نفسه , ص169.
(28)- عبدالحفيظ الميار , المرجع السابق , ص212.
(29)- م. ه. بوب , المرجع السابق , ص231.
(30)-خزعل الماجدي ,المرجع السابق , ص173 .
(31)- محمد مهران , المرجع السابق , ص213.
(32)- م.ه.بوب , المرجع السابق , ص248.
(33)- لبيب عبدالساتر , الحضارات , دار المشرق , بيروت 1977, ص139,
(34)- عبدالحفيظ فضيل الميار , ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية , مجلة آثار العرب , العدد (11),(12), مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة , طرابلس 1999, ص13.
(35)- المرجع نفسه , ص14.
(36)- عبدالحفيظ الميار , الحضارة الفينيقية في ليبيا , المرجع السابق , ص223.
(37)- الشاذلي بورونية, محمد طاهر , قرطاج البونية تاريخ وحضارة, مركز النشر الجامعي , تونس 1999,ص287.
(38)- عبدالحفيظ الميار , ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية , المرجع السابق , ص15.
(39)- المرجع نفسه , ص16.
(40)-المرجع نفسه , ص17.

(41)- المرجع نفسه , ص17.
(42)- عبدالحفيظ الميار , الحضارة الفينيقية في ليبيا , المرجع السابق , ص244.
(43)- المرجع نفسه , ص252.
(44)- لمزيد من المعلومات يمكنكم زادة الموقع الإلكتروني التالي :
WWW.meditrranean Center.net
(45)- رشيد الناضوري , المغرب الكبير , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت 1981, ص218.
(46)- خزعل الماجدي , المرجع السابق , ص186.
(47)- عبدالحفيظ الميار, الحضارة الفينيقية في ليبيا, المرجع السابق, ص237.
(48)- المرجع نفسه , ص243.
(49)- الشاذلي بوروينة , المرجع السابق , ص292.
(50)- رشيد الناضوري , المغرب الكبير , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت 1981, ص 218.
(51)- عبدالحفيظ الميار , الحضارة الفينيقية في ليبيا , المرجع السابق , ص299.
(52)- المرجع نفسه , ص302.
(53)- الشاذلي بوروينة , المرجع السابق , ص292.